تأملاتٌ كتابيةٌ عن مريمِ العذراءِ

ترجمها عن الإيطالية الخوراسقف
فيليكس الشابي – أريزونا ٢٠١٣

كتاب

تأملاتٌ كتابيةٌ

عن مريمِ العذراءِ

ثلاثونَ تأملاً مأخوذاً من الأناجيل: نصوصٌ تتكلمُ عن مَريم العذراء وتَدعونا الى الصلاة في حياتنا أليومية

ترجمها عن الايطالية

الخوراسقف فيليكس الشابي

التنقيح اللغوي: الاستاذ بهنام سليمان متي

تمت الترجمة برخصة دار النشر الايطالية – تورينو
(Maggio Pensieri per Maria) – Mondo Nuovo 210
Permesso di: Don. Giuseppe Pelizza Direttore Editoriale
ELLEDICI: Torino, Italia - June 25, 2013

أريزونا 2013

تقديم

إن هذا الكتيّب الصغير يحوي على ثلاثون تأملا روحيا مستوحا من آيات العهد الجديد. وهي تختص بذكر العذراء مريم ودورها الامومي في حياة ربنا يسوع المسيح أثناء حياته الارضية.

في بعض الأحيان عندما نقرأ الانجيل نفكر : "ما عسى ان يكون معنى هذه او تلك الآية؟" وبالاخص تلك الايات التي تذكر أمّنا مريم، كون أن الانجيل عموما يتكلم عن ربنا يسوع المسيح وحياته. إن هذه التأملات تهدف الى تقديم تفسير روحي جميل وصادق عن دور مريم في الإنجيل وعن مكانتها عند الرب يسوع، والرسل، والكنيسة الاولى ايضاً.

تأملات هذا الكتيب تفيد للقراءة أثناء الشهر المريمي. ولكني وجدت ان فائدته لا تقتصر على شهر واحد فقط، بل ان يكون في متناول كل مؤمن في كل وقت لنتعلم التفكير والتأمل بأمنا الروحية مريم ونتعلم من مثالها في كل حين.

الخوراسقف فيليكس الشابي - أريزونا 2013

1- وإسمُ العذراءِ مَريَمْ (لوقا 1: 27)

بهذهِ الكلماتِ البسيطةِ تبدأ قصة مريم في الأناجيل. لا بل، هنا تبدأ أيضا قصة يسوع نفسه.

كلُ شيءٍ هنا عبارة عن البساطة والتواضع. في منطقة صغيرة جداَ تصعب معرفتها بوجه خاص، كانت تعيش هذه الفتاة الشابة. المحيط بسيط ومتواضع، ومثلهُ الناس الساكنون فيه وأقرباؤها أيضاً، إذ يغلبهم طابع البساطة

والتواضع. صحيح أن خطيبها يوسف كان نجاراً متواضعاً أيضا، إذ كان من سلالة داؤد. الا أنه وبعد 1000 سنة تقريبا، أصبحت عشيرة داود الملك منقسمة ومتشربة في قبائل متعددة، لئلا يُظهِر أحفاده مرة أُخرى أمجاداً كبيرةً، ولئلا يحوزوا على أي نوع من الامتيازات الإجتماعية بأي شكل من الأشكال.

الناصرة: كانت عبارة عن بلدة ريفية جليلية منسية في الشمال، تبعد مسافة لا بأس بها عن أورشليم العاصمة الملكية في الأزمنة القديمة. إلا أن الناصرة تُقدم منظراً مهيأً لحياةٍ متقلبةٍ لا يعرفها الناس، حياة ليست بسهلة حتى على هذه الفتاة التي يحل عليها نظر الله، هكذا يصفها الإنجيل. بعد هذه الفترة، سيتكلم المسيحيون الاوائل، المندفعون من قبل اللهفة والمخيلة، عن نفس هذه الظروف ولكن بطريقة مختلفة (سيذكر هذه الاحداث

الآباء والأمهات، والتربية المسيحية، وسيتسابقون لسرد قائمة الفضائل التي كان يتمتع بها أناس ذلك الزمان الغابر...) أما في الإنجيل فلا يوجد ذكر من هذا القبيل، فكل شيء متواضع جداً وبسيط جداً.

مريم: شابةٌ صغيرةٌ ظهرت في زاوية مجهولة من الأرض: ستصبح أماً للمسيح المنتظر، وهي إنسانة مُكرّمة، إذ من خلالها ستمر المخططات الإلهية لخلاص العالم. والحياة ستعود مجدداً من خلالها إلى "الودعاء" المذكورين في سفر المزامير، والذين بواسطة معجزة إلهية سيصبحون مؤهلين إلى "وراثة الأرض". بكلمات أُخرى، سيصبحونَ متساوين مع "الصغار" المذكورين في الانجيل، متذكرين اولئك الذين لأجلهم يسوع "يبتهج بالروح القدس" (لوقا 10: 21).

منذ أجيالٍ وعصور لا يزال التفكير بمريم يشكل مصدر اً للفرح، لأنه من خلال تواضعها كشفت للعالم مدى عظمة محبة أللـه.

++++++++++

2- السلامُ عليكِ يا ممتلئةً نعمةً (لوقا 1: 28)

كانت هذه الفتاة الشابة تحمل إسم "مريم"، وكانت معروفة لأهل بلدتها. وعلى مر العصور أصبح هذا الاسم اكثر إنتشاراً، وعزيزا، ومحبوبا، لعدد لا يمكن إحصاؤه من الناس. أما ملاك الرب، وإذ يُشرع بإلقاء السلام عليها، فإنه يدعوها بلقب آخر وهو "الممتلئة نعمة". إنه الإسم

الجديد، الذي به تُعرف هذه الفتاة أمام الله، إسم نازلٌ من السماء، مثل إسم إبن الله النازل من السماء ("تسمّيه يسوع" لوقا 1: 31).

فمريم ليست سوى كائنة متواضعة، ومن خلال حياتها المتواضعة تبتديء تتحقق أشياء خارقة الطبيعة. إذ في كوخها المتواضع يدخل ملاك الرب، وحسب لغة الكتاب المقدس، فإن حضور الملاك يمثل حضور أالله نفسه، ويمثل إبلاغ رسالة شخصية من أالله ضابط الكل. ورغم إن البشر يحبون رؤية الإمور بطريقة مغايرة، متخيلين ظهورات رائعة. الا أن ألانجيل على العكس من ذلك هو بسيط، هاديء، وحلو، في سرد الاحداث اليومية وبصورة أكثر واقعية.

الملاك "إذ دخل عندها قال"، دخل في ذلك البيت الصغير، وهو يَعبِر من خلال الباب، مثل أي زائر -زائر سماوي-

يتكلم معها بصوت واضح وهاديء، مثلما يتكلم الإنسان مع أي إنسان آخر.

هكذا وبواسطة مريم يُستأنف الحوار بين السماء والارض، الحوار المنقطع منذ الآف السنين. إذ تنشأ بين الله وخليقته موّدة جديدة، وتجعلنا نفكر ببداية قصة الخليقة، مثلما يحكيها الكتاب المقدس.

في ذلك الزمان كان الإنسان يتكلم مع الله بطريقة وديّة، عندما كان يعيشُ حياة السلام، كان ينظرُ إلى المستقبل بثقة. إلا أنه وبسبب الخطيئة الناتجة عن قرار مُر وخاطيء للإنسان، إنقطع الحوار، وأصبح التاريخ الإنساني مظلماً، من دون أمان، ومملوءً مرارةً.

والآن مع مريم، وبادرة إلهية، يُستأنف حوار المحبة، وينفتح ألرجاء على العالم. إنه سر "النعمة الالهية" ألذي يبدأ بخلاصنا بدءً بهذه المرأة التي إختارها ألله.

++++++++++

3- كيفَ يكون هذا؟ فأنا لا أعرف رجلاً (لوقا 1: 34)

مريم، الإنسانة المتواضعة، هي في إجتماع مع مبعوث الله السماوي: هذا هو الخبر الاول الذي نتعلمه عنها. بنتٌ متواضعةٌ وبسيطةٌ، إلا أنها "مضطربةٌ" من سلام الملاك، ولكنها ليست خجولة او خائفة. كان هذا الإعلان مفاجئاً ومقلقاً، إذ تُعطى ألقابا كبيرةً ومفاجئةً، فتُدعى: أم المسيح، وأم "إبن العلي"؟ وينبغي أن تتحقق كل إنتظارات ورجاء

شعبها فيها! هذه الإنسانة المتواضعة، ولكن أيضا القوية والمقدامة، تتجرأ وتسأل بتحفظ: "كيف يكون هذا؟".

لقد فُحصت كلمات مريم هذه بكثرة بحثاً عن معناها الحقيقي. فهي تلّمح وبكل بساطة الى غياب العلاقة الزوجية، وبالتالي إلى إستحالة إمكانية أن تصبح أما؟ فهل يوجد معنى آخر لكلماتها؟ من دون شك توجد موازاة تربط بين عقم إليصابات وبتولية مريم، ففي كلتا الحالتين يوجد تدخل إلهي عجيب، بواسطته يمكنهما كلتاهما أن تصبحا أمهات. إلا أن الموازاة تتوقف ههنا، ولكن أمام حالة مريم، يشعر التقليد المسيحي العريق بسلوك عميق لإختيار النفس والتخلي التام أمام إرادة الله.

تاريخياً وإلى ذلك الوقت، لم تلقَ قضية بتولية المرأة أهمية دينية في إسرائيل. إلا أنه في ذلك الوقت بالتحديد، كان التغيير قد بدأ. وذلك بسبب التأملات حول أحداث

ألانجيل والمتمركزة حول شخصية مسيح بتول (يسوع)، والذي سيُعَدُّ لمجيئه من قبل نذير بتول (يوحنا المعمذان)، وسيُبَشَّر العالم بذلك من قبل رسول بتول (بولس معلم البتولية في الكنيسة الناشئة). ولوقا نفسه يتكلم عن البتولية كحالة سماوية (لوقا 20: 35).

إن الله بالتاكيد بإمكانه التغلب على أي عائق، أما الخلائق الصغيرة فعليها أن تبقى متمسكة بمبادئها الروحية العميقة: "لا أعرف رجلا". هكذا وعلى وجه صحيح فإن المؤمنين يلتفون حول سر بتولية مريم والتي هي بمثابة شعاع نور من السماء على الارض.

++++++++++

4- الروحُ القُدسِ يَحِلّ عليكِ (لوقا 1: 35)

لقد حَضَّرَت النصوص النبوية للعهد القديم لمجيء ألازمنة المسيحانية معرّفة إياها بأزمنة الروح القدس. ولاجل هذا فإن كل التقاليد القديمة للإنجيل تعطي الأولوية لقصة يسوع بدءً بحلول الروح القدس عليه أثناء العماذ.

القديس لوقا، الإنجيلي الذي ندين له بالحصة الكبرى من الأخبار حول مريم، يُقدِّمُ تناظراً متوازياً ما بين يسوع والكنيسة. فعلى نفس النمط، تبدأ قصة المسيحيين الاوائل بحلول الروح القدس، ويتحقق الفنطيقسطي (عيد الخمسين). وفي هذه المرحلة تأتينا المفاجأة. فقبل ذلك الحلول وهذا الحلول للروح (أي بداية قصة يسوع، وبداية قصة الكنيسة) توجد حادثة سبّاقة اخرى وهي حلول الروح القدس على أمنا مريم، في اللحظة التي تصبح فيها أُما مسيحانية، عندما تحبل بيسوع في حضنها البتولي.

بالحقيقة فإن القديس لوقا يسترسل بموضوع الروح القدس في بدايات سرده للانجيل. بالنسبة له فإن الروح هو العلامة الإلهية الكبرى للتجسد. ولهذا تراه يتكلم بخصوص ولادة يوحنا، ويتكلم عن أُمه أليصابات، وعن شمعون الشيخ. إلا أنه، وفي مركز كل هذه القصص، نجدُ

مريم، مع إختبارها الفريد والذي ليس له مقابل. ففيها يتمُ الاعلان عن حلول الروح القدس بطريقة إحتفالية فريدة، ويتحقق الحدث ألمفاجيء والعاجل لمجيء "إبن الله" بين البشر.

بالنسبة للانجيلي لوقا، تظهر مريم منخرطة في عمق الحدث الالهي الذي يتم فيها. إذ تصبح أُمومتها علامة حساسة للاختبار الايماني لجميع البشر الذين لمستهم نعمة الله والذين يقبلون يسوع في حياتهم. إن نسلها البتولي –عمانوئيل- سيصبح علامة محسوسة للتبشير المتزايد وبكثرة، في الكنيسة التي يقودها الروح القدس من أجل إيصال يسوع الى العالم.

الخليقة الاولى أُعطيت نفخة من الروح، ومريم هي الخليقة الاولى التي بدورها تقدم يسوع هدية للبشرية .

++++++++++

5- ها أنذا أمةُ للربِ (لوقا 1: 38)

من بينِ الصفحات الأكثر درامية (قصصية) والمليئة بالشعورِ الإنساني في العهد القديم نجد تلك المخصصة حول "عبدُ أللـه" (أشعيا 42-52). إنه شخصية غامضة ونبوية، يتكلم ويتألم بإسم أللـه، ويخلّص شعبه. إن الجماعة المسيحية ألاولى قد رأت من دون شك تحقيقا لتلك النبوءة في يسوع ألمسيح. ومع ذلك، فإن القديس لوقا

هو الكاتب الوحيد في ألعهد الجديد الذي يطبّق ذلك على يسوع، كلقب مسيحاني، ويعطيه وصف "عبدُ الله" (أعمال 3-4).

هكذا، وعلى أضواء هذه ألاحداث، تَكتسبُ الجملة المتواضعة والشجاعة التي تستعملها مريم قوة خاصة في حوارها مع الملاك، واصفة نفسها بأنها "عبدة الله". هكذا تعطي هذه الإنسانة رضاها لمشاريع أللـه، وتقبلها بخشوع، وإن كان ذلك يقتضي عليها بأن تُقلب حياتها رأسا على عقب.

الأمومة البتولية هي مخطط الله العجائبي. كان بالإمكان أن يحافظ أللـه على مريم من المفآجات والاقاويل المرّة. فالبشر ليسوا مستعدين دائما لقبول التدخل الالهي! ومع ذلك كله، فمريم تقول نعم، وتتخلى بثقة كاملة عن نفسها وتضعها بين يدي الله: "فليكن لي حسب قولك".

مرة أخرى، وهو يتكلم عن الأم، يبدو أن لوقا الانجيلي يريد أن يستبق السر الذي سيكونه ألإبن. فيسوع أيضا، ولو بعد 33 سنة، وفي ظروف مأساوية (في بستان الزيتون) سيعطي رضاه لمشيئة الآب. ياله من رضىً صعب، يُعبَّر عَنه ضِمنَ شروطٍ شبيهةً وبصورة خارقة العادة مع تلك المستعملة قبل 33 سنة من قبل الام: "لتكن مشيئَتك".

إن خلاص الله يبلغ كل البشر، لكن الله يعمل فقط من خلال إستجابة من هو مستعد أن يتخلى عن ذاته بطواعية وثقة ولو كان ثمن ذلك تقديم التضحيات في سبيل مخططاته العجائبية. فقَبلَ طاعة يسوع البنوية، تَظهَر مريم رمزاً للبشرية المؤمنة التي تترك ذاتها بين يدي الله الحكيمة والطيبة.

++++++++++

6- وشدّت مريم رِحالها نَحو ألجبال (لوقا 1 :39)

إن "مغادرة" ألملاك في نهاية ألبشارة مرتبطة مع "مغادرة" مريم في رحلتها الطويلة إلى جنوب فلسطين لزيارة قريبتها إليصابات.

إنه من ألمثير للإعجاب، أن ألانجيل يعرض وبطريقة منتظمة مريم وكأنها في رحلة "حج". وحتى عند ولادة يسوع تكمّل مع يوسف الرحلة الطويلة "من مدينة الناصرة في

الجليل الى بيت لحم مدينة داؤد". وبعد 40 يوما، والطفل بين ذراعيها تبدأ من جديد "الحج" نحو أورشليم الى الهيكل، لمقابلة سمعان الشيخ. وأخيراً عندما يبلغ يسوع عمر ال12 عاما. تبدأ "الحج" الفصحي المُقلِق نحو أورشليم.

رحلات "الحج" التي تقوم بها مريم هي أربع:

1- حج ألايمان (عندما أخبرها ألملاك جبرائيل بالسر ألإلهي الذي كان يتحقق في إليصابات). 2- رحلة ألامومة المسيحانية نحو بيت لحم. 3- رحلة حج ألتكريس (تقديم الابن إلى الاب. حيث تستمع مريم إلى نبوءة سمعان ألمحزنة). 4- ثم، رحلة ألبحث عن يسوع المفقود (وكانت مريم تدرك إنه بإمكانها أن تجده في بيت "الآب" فقط).

إنها لحقيقة مهمة لروحانية الانجيل، بأن تكون لها وقفة مرتكزة على شخص مريم. وعلى غرار يسوع الذي يسافر

بإستمرار باحثا عن خلاص الانسان، كذلك التلميذ أيضا مدعو لأن يعيش حياته الإيمانية كإنسان يضع روحه في برنامج "حجٍ" مستمر.

ينبغي إذن "الحج" في الايمان نحو نضوج متواصل، ينبغي "الحج" مع يسوع بأمانة تامة ومتواصلة، ينبغي"الحج" نحو الملكوت باحثين عنه بشوق. لذا ولكي نسير في مثل هذا الحج ألروحي والحياتي، علينا أن نتخذ من مريم نموذجاً حياتياً.

++++++++++

7- طوبى للتي آمَنَت! (لوقا 1: 45)

إتبّع القديس لوقا في بداية كتابته للإنجيل إسلوب المقارنة، رغم إتباعه وطاعته من دون شك للمشروع اللاهوتي والروحي في عموم إنجيله. يتبين ذلك من قصة بشارة الملاك لزكريا الكاهن ليخبره مسبقا بخبر ولادة المعمذان وقصة بشارة الملاك لمريم وخبر ولادة المسيح.

هكذا يتم وبصورة تِلقائية تعيين الاختلافات والفروقات: الكاهن اليهودي يرفض أن يؤمن بالكلمات السماوية، فيتم تأنيبه ومقاصصته. أما مع مريم، ورغم كونها غير متأكدة بالبداية، فإنها تؤمن، وتتخلى بأمانة، ويُشاد بها من قبل نسيبتها إليصابات: "طوبى للتي آمنت بتتميم كلمات الرب"، إن "الكلمة" ستتحقق فعلا وبطريقة إحتفالية. فمريم أصبحت الآن أمّا، والروح القدس سيبدأ متوجها منها نحو أم يوحنا، ألمبشر ألقادم.

بالنسبة للوقا الإنجيلي، هذا التضادد هو مهم، وهو خاصية مرافقة للسر الذي يكتنف حياة يسوع: مقبولاً من قبل ألبعض، ومرفوضاً من ألاخرين، يُتبع بأمانة من قِبل تلاميذه، مُعارَضاً بغضب وحقد من قبل مناوئيه، يُحكم عليه بالموت من قبل أعدائه، ويُعبد ويُمجد من قبل ألمؤمنين به...

من أجل هذا، يَضَعُ لوقا هذا التضادد منذ بداية ألانجيل فورا، مقدماً سلسلة من البشر المتواضعين، ولكنهم مؤمنون، يتكلموّن عن وعود أللـه، وينتظرون "خلاص إسرائيل"، ويقبلون ألمسيح بهيئة كريمة في شخص ألطفل يسوع. فإليصابات تشعر من خلال مريم بحضور "الآب"، والرعاة البسيطون يركضون الى بيت لحم، وشمعون الشيخ يرفع ألطفل ألرضيع على ذراعيه وهو يرتل فرحاً، وألنبية العجوز حِنة تخبر "عنه" جميع الناس.

مرة ثانية، وسط هؤلاء ألمؤمنين، نجد مريم، ألاكثر قربا من يسوع، تَقْبَلُهُ وتَهِبَه، فهي مثالٌ سبّاقٌ للمؤمن الحقيقي، وهي "مطوبّة" بالطوبى الإنجيلية ألمفرحة.

++++++++++

8- قالت مريم: تُعظِّم نَفسِي ألرب (لوقا1: 46)

إن نشيد مريم المشهور "تُعظم نَفسي ألرب"، يبرز وبصورة إنفرادية في الصفحات الاولى من إنجيل لوقا. لكنه لا يبقى وحيداً بل يُتبع بنشيد زكريا عند ولادة إبنه يوحنا، ونشيد الملائكة ليلة ميلاد يسوع، ونشيد سمعان الشيخ بعد 40 يوما، في هيكل أورشليم.

مع هذه ألاناشيد أللامعة، يبدو أن لوقا الانجيلي يوّد أن يكتب بطريقة طقسية (ليترجية) القصص الاولى ألتي تخص يسوع: إنها قصة مسجلة، مُعاشة، ومُنشَدة بفرح من قبل ألكنيسة.

ورغم وجود كل هذه ألأناشيد، لا يزال نشيد مريم يُرتّل يوميا وعبر مختلف العصور في الكنائس. فهو ألاكثر غنىً بالمعاني، وألاكثر مقرِبةً من النفس المسيحية من دون شك. إن هذه ألانسانة تفتتح ألتاريخ ألمسيحي بأمومتها العذبة،

وتصبح أيضا "ألمرتّلة" التي تلّحن ألنشيد ألمسيحي ألاول، معطية زخما أكبر للإيمان، ولفرح مَن يقبل ويحتضن يسوع في حياته.

إن القديس لوقا يُحب أن يتكلم عن كل شيء رآه، وخاصة في الجزء الثاني من كتابه (أعمال ألرسل)، ففيه يشير إلى أهمية الصلاة الطقسية: فهي وقت مقاسمة كلمة أللّه، والإخوّة، والشركة العميقة مع يسوع، وخبرة الروح القدس، وقرارت الرسل.

اذ ليس من قبيل الصدفة، وخاصة في بداية كتابه ألثاني (اعمال الرسل 1: 14) أن نجد في وسط صلاة الكنيسة الاولى ذِكْر حضور "مريم أم يسوع" (لوقا وحده يذكره).

بالنسبة للوقا، فإن هذا ليس مجرد إسلوب يُقَدِّم من خلاله مريم كنموذج للصلاة الحارة، ولكنه أيضا إسلوب لإكتشاف هوية ألحياة الطقسية نفسها: ففي مريم نجد

يسوع حاضرٌ حقيقةً، وهذا الحضور نفسه يتحول إلى نشيدٍ وفرحٍ.

++++++++++

9- تبتهجُ روحي بالله (لوقا 1: 47)

ألقديس لوقا، (كاتب إنجيل الكنيسة)، لا يخبرنا في البداية بقصص الصعوبات والإضطرابات، لأنه يعرف من قصة الصليب بأن إيمان جميع المسيحيين سوف يوضع أمام

ألامتحان، ولهذا فهو يصرّ وبصورة إستثنائية على موضوع "ألفرح".

فرحة ألخاطيء ألتائب، فرحة يسوع ألعارمة لدى رؤيته للرسل وهم يعودون من ألتبشير، فرحة أللّه في السماء بتوبة نفس ضائعة.

لوقا، متّبِعاً نفس ألطريقة، يفرض وبإلحاح نفس ألموضوع في الفصول ألاولى للإنجيل، إذ فيها يخصِصُ مساحةً كبيرة عن أخبار مريم. فولادة المعمذان ستكون مناسبة للفرح، وقبل كل شيء فإن ولادة يسوع سيُعلَن عنها من قبل الملاك، كرسالة فرح موجهة إلى الرعاة: "أبشركم بفرح عظيم". هكذا تأخذ بقية ألأناشيد نفس ألمنحى، فهي ليست سوى إنفجاراتُ فرحٍ هادئةٍ وعميقة.

وهنا أيضا نجد شخصية مريم في المركز. إذ لا يُعبِّر أحد سواها عن فرحة مجيء المسيح بكلمات مرتبة جداً مثلها:

"تبتهج روحي بالله". هذا الصوت الناعم، الذي يُحرِّك قبل كلِ شيءٍ أليليترجيا المسيحية، هو صوتٌ بهيجٌ يُعبِّر عن فرحة إنسان إنتظر طويلا والآن بدأ يعاين تحقيق وعود أللـه.

إن نشيد مريم هو جميل ومنسجم، ومليء حيويةً وعنفواناً. فاللـه، مع ولادة يسوع، يتدخل في ألتاريخ، ويصنع "أشياءً عظيمةً" لإنه بالحقيقة "كشف عن شدّة ساعده": إذ يمحو كافة الظلم، ويحطم كلُ تعدٍ متكبّر، ويرفعُ رجاءَ ألمتواضعين.

هذه هي ألفرحة التي تنشدها مريم: فرحة ألرجاء الذي لا يقبل أن تغلبه خيبة الأمل. فالحياة هي مُرّة، ولكن أللـه هو هنا معنا.

++++++++++

10- وكانت مريم تحفظ كل هذه الكلمات في قلبها

(لوقا 2: 19)

كلمات الرعاة المدهشة هذه تشير إلى رسالة الملائكة في ليلة الميلاد. فمريم تستمع، تصمت، وتتأمل بإنتباه داخلي عميق إلى جميع الكلمات ألتي تتعلق بطفلها يسوع "وكانت تحفظها في قلبها". إن القديس لوقا يقدمها على أنها تلك الإنسانة ألتي تستمع إلى الكلمة.

لقد إستمعت إلى الملاك اذ بشرّها بولادة "القدوس وإبن الله" ثم إستمعت الى صوت إليصابات ألتي كانت ترى في أحضان مريم حضور "ربّها"، وبعد هذه ألحادثة بقليل ستستمع مريم إلى كلمات سمعان ألشيخ المؤلمة إذ يتنبأ عن الذبيحة الخلاصية لإبنها، وفي ألنهاية ستستمع الى كلماتِ يسوع نفسه الموجهة لها بالدرجة الاولى عندما بحثت عنه ووجدته في الهيكل وهو بعمر 12 سنة، وفي هذه ألمرّة أيضا، ومن أجل التركيز على أهمية الموضوع يعلّق لوقا قائلا: "وكانت أمه تحفظ كل هذه الكلمات في قلبها (لوقا2: 51).

إنه لمن المعروف بأن لوقا الانجيلي، إضافة الى روحانيته، فإنه يكشف عن إهتمامه الكبير بالعمل ألارسالي. فبالنسبة إليه، فإن قصة ألكنيسة هي قصة عمل إرسالي تبشيري (أعمال الرسل). إلا أن الكنيسة ليس بوسعها أن تعلن أو تبشّر بكلمة يسوع إذا لم تعرِف او تُتقن وبشكل

جيد الإستماع إلى هذهِ الكلمة بإنتباه كبير، مرفوق بتكريس الذات. ومن أجل هذا ألسبب يذكر لنا الكثير من كلمات يسوع الشخصية، والتي تدعونا وبإستمرار الى سلوكٍ عميقٍ وجدّي للنفس.

هكذا، وضمن هذا السياق تكتسب شخصية مريم طابعا خاصا وفريداً. إذ تصبح صورة مريم والدة المسيح، رمزاً ودعوةً مفتوحةً لإتّباعها من قبل الكنيسة التي ينبغي لها أن تُعيد إكتشاف عمق ومعنى "الإستماع" ومعنى "التفكير" الصامت والهاديء، ومعنى "التأمل" الحي والمنسجم. إنه لمن الممكن أيضا بأن لوقا يريد من خلال هذهِ التعابير أن يكشف بأن مريم هي ألمصدر ألذي منه إستقى أخبار قصص طفولة يسوع، فهي إذن رمز يدفع لمحبة العمل التبشيري، وتحديداً عندما تصمت "وتستمع" الى الكلمة.

++++++++++

11- و أنتِ سينفذ سيفٌ في نفسك (لوقا 2: 35)

غالبا ما صوّرت ألحياة المسيحية التقوية مريم يضربها سيف ألحزن. وهكذا عبرّ الفن الديني على مرِّ العصور بصور عديدة عن صورة مريم "أم الأحزان".

يبدو هذا التصوير الحزين غريبا قليلا عن نمط لوقا حول قصص طفولة يسوع التي يغلبها طابع الرقّة والحلاوة، إذ يبرز هذا الخبر فجأة بهيأة درامية حزينة. ولكن، لا يمكن

كتابة الإنجيل من دون النظر عن بعد ومُشاهدة الصليب. فمريم، الأم الفرحة بالميلاد، عليها الحضور عند أقدام الصليب لتصبح "الأم الحزينة".

ومن جانبه أيضا، فالإنجيلي الآخر ألذي يروي قصص الطفولة، متّى، يذكر هذا الموضوع من خلال وصفه إضطهاد هيرودس... ألهروب العاجل بالطفل... مقتل أطفال بيت لحم... وإراقة كل تلك الدماء البريئة... هكذا لوقا ايضا، ومن ضمن سرده ألجميل والناعم للميلاد، لم يستطع إخفاء هذا الموعد القاسي.

ومثلما تنبأ الأنبياء في الكتاب المقدس، تتميماً للنبوآت الاكثر قِدَما وقساوة، فإن يسوع يُناهَض من قِبَل شعبه، وفي ألنهاية يُرفَض. ومريم ستُشاهِد كل هذا، عندما يشُكّ فيه الأقرباء، وأهل مدينته يرفضون الإيمان به، ورؤساء الشعب يقفون بوجهه وبقوة، وعندما يرفضه شعبه.

إن قلب الأم يستبق إستشهاد الإبن المحتم. فهل كان لمريم منذ البداية نوع من ألحس الداخلي، عارفةً بما سيحل بها وبإبنها الإلهي، أم أنها تضن بأن رسالته ستكون سهلة دون عقبات أو معوّقات؟

بالتأكيد إن محاولة فهم أسرار شخصية هذه الإنسانة لهو أمر صعب. ومع كل هذا فإن القديس لوقا عارفٌ بأن هذه الصورة الحزينة لا تزال بإنتظارها. فمن جرّاء الإرادة الإلهية، تتعرف مريم مبكرا جدا على الماساة التي تكتنف مصير المحبة والخلاص أللذين يحملهما إبنها. ونبوءة سمعان الشيخ، تحمل هذا ألمعنى نفسه. إذ تمكن أن ينظر باشراقة إلى الامام، متوقعا التجارب والعذابات التي على الابن أن يقبلها من أجل "قيام كثيرين".

++++++++++

12- فرأوا الطفل مع أمهِ (متى 2: 11)

في سرده لإصول يسوع الأرضية، يعود إستذكار مريم، من قبل الإنجيلي متى، وبإسلوب أكثر ليناً وذلك بتأثير من لوقا. إن الشخص المركزي -في قصص الطفولة- لدى الإنجيلي متى هو مار يوسف، أما مريم فيذكرها بصيغة الشخص الثالث (الغائب)، إذ لم يكن بإمكانه تجاوزها أو عدم ذكرها مباشرة إلا قليلاً. وحتى عند القديس متى، فإن صورة "مريم الام" لاتزال واضحة هناك وضوح الشمس وهي بجانب طفلها.

وكما في قصة المجوس الشرقيين، الذين يَصِلون بيت لحم بعد سفر مضطرب، "ودخلوا البيت فرأوا ألطفل مع أُمه مريم، فجثوا له ساجدين". إن هذا المشهد المألوف والساحر لإمومة مريم، والذي رُسم لمرات لا تعد ولا تحصى، قد فُهم وبصورة جيدة من قِبَل كل مسيحي: فعندما تحمل مريم على ذراعيها يسوع -وتستقبل الملوك والرعاة- فهي تستقبل البشرية كلها.

في القصة التي نحن بصددها، مريم تستقبل جماعة صغيرة من الناس الغرباء والمهمين، ألذين قد دُفعوا وبصورة عجيبة لترك بلادهم البعيدة للمجيء والسجود ليسوع.

يسرد القديس متى هذه القصة بكل بساطة مع أحداثها المأساوية المحزنة. ولكن بالنسبة اليه فالقصة تمثل شيئا أكبر من مجرد حدث بسيط: فالقصة هذه هي بمثابة

إستباق لاحداث مستقبلية. فالنصوص الكتابية كانت قد تنبأت قبل قرون عن مجيء ألشعوب الى ألمسيح، وإستعملت أحيانا كلمات وتعابير تبدو كما لو إنها تُمهّد لقصة متى: "كلهم من سبأ يأتون، حاملين ذهباً وبخوراً" (أشعيا 60: 6)، "ملوك العرب وسبأ ألهدايا يقدمون" (مز 72: 10). فهذا ألذي سيحدث، ولو بعد زمان طويل، مع نشأة الكنيسة، يتحققُ مُسبقا وبطريقة خفية لدى الانجيلي متى مع زيارة ألمجوس. وإذ تحمل مريم ألطفل على ذراعيها وتستقبلهم، فإنها تقدم الإبن إلى العالم أجمع.

++++++++++

13- قم خذ ألطفل وأمه وأهرُب (متى 2: 13)

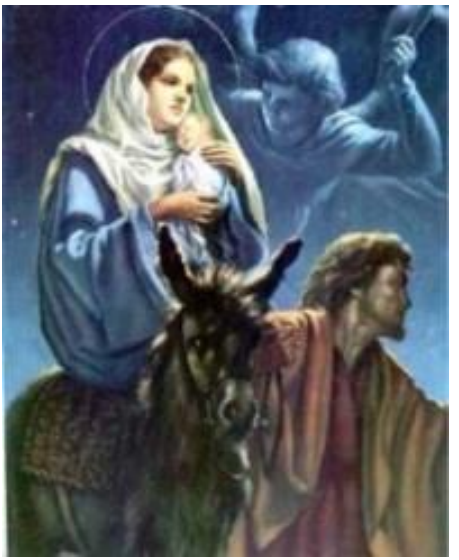

على خلاف لوقا، فإن إسلوب متى ألانجيلي في قصص طفولة يسوع يسوده طابع ألفخامة والمجد كما وتشوبه المأسآة أيضاً. فمن مجد ألسجود الذي يقدّمه ملوك الشرق والذي يرمز إلى ألمجد الملوكي للمسيح، ننتقل إلى المأسآة الملوكية الناجمة عن ألحسد الملتهب لملك آخر، أي هيرودس، وألذي كان يرتعش في أورشليم من جرّاء ولادة طفل فقير. وما بين هذا الخبر وذاك نرى مريم ودورها ألمهم.

وهنا أيضا نجد أن إسلوب سرد القصة هو بسيط، كما لو أنه تم الانتهاء من كتابته فوراً، ولكن نجد أن المخيلة الدينية للقاريء تسرح بعيدا. هذا الهروب الذي يتم في جناح الليل، والطفل مضموم بقوة في الاحضان، وسط الخوف والهَلَع بسبب مطاردة خطوات أقدام جنود هيرودس القاسية لهم، فإن الطفل يُحمَل بعيداً، إلا أن الأم تعيش في أعماقها خِبرَة خَطَر الموت الذي يهددهم. الطفل يَخلُص الآن، في حين يُقتل أطفال بيت لحم ويَكتَنفُ اليأس قلوب الأمهات. "راحيل تبكي على بنيها، وقد أبَت أن تتعزى لإنهم زالوا عن ألوجود" (متى 2: 18).

وهنا أيضا، يكتب القديس متى بإسلوب في غاية البساطة والإحساس، ولكنه يَنظر الى المستقبل، فألإنجيلي متّى يعبّر عن إيمانه: يسوع هو وسط العالم من أجل خلاص جميع ألبشر. فكم من التضحيات والعذاب تكونان تكلفة

التبشير بالانجيل ألذي يحمله يسوع الى العالم. كم من ألمرسلين يصبحون رهائن، ومطرودين، وهاربين من جراء التهديد المغرور من قِبل السلطة الارضيةْ!

إن هذه الصورة هي بمثابة إستباق نبوي حيث تعيش مريم الآن كل هذا الإضطراب. فهكذا قُدّر لها، أن تكون هي المسؤولة عن تقديم يسوع الى العالم. وهي لاتزال تحمله بكل حب بين ذراعيها، فَرِحة ومُمَجَّدة بمجدها الملوكي. ولأجل هذا ألسبب نفسه، ينبغي عليها هي أولاً، أن تشترك وتقتسم وبكل شجاعة ألصعوبات والتجارب التي ستكون من نصيب رسل يسوع وحاملي كلمته.

++++++++++

14- فأخذ ألطفل وأمه ورجع أرض إسر ئيل

(متى 2: 21)

أتت أحداث إضطهادات هيرودس مثل زوبعة عنيفة تضرب بسرعة كل ما أمامها رغم عدم فائدتها وظلمها. والآن قد مات الملك المتعطش للدماء، فبإمكان مار يوسف إرجاع "الطفل وأمه" الى فلسطين، لا الى بيت لحم المدينة

ذات الاصل الملوكي التي إنطلقوا منها، بل الى الشمال، الى قرية جليلية صغيرة شبه منسية تدعى: ألناصرة.

هكذا تبدأ مسيرة الانجيل الطويلة، على الرغم من كونها غير موثّقة بدقّة، ومبهمة، لكنها مهمة جدا، لان يسوع سيدعى من الآن ولاحقا بـ"الناصري". وسنرى في كل هذهِ السنوات مريم الى جانب يسوع، محافظةً على سرّه الالهي، ومدافعةً عنه بإهتمام وغيرة. وبالنسبة لسنوات الناصرة فان ذلك يبقى غير واضح على نحو أكيد وبالاحرى لا نعرف أي شيء عنها، لماذا؟ لربما لأنه لم يكن هناك الكثير ليُحكى عنه.

إن ألاستعداد الإلهي يبلغ هنا ذروته: إذ أن إبن الله يعيش هوية أبناء البشر بالكامل، دلالة على إنه واحد منهم، ولا يوجد ما يفرّقه او يفصله عنهم. وبالحقيقة فإنه عندما

يعود يسوع الى زيارة الناصرة وهو "معلم" فإن جميعهم يتعجبون منه.

ومع مرور كل هذه السنين ينبغي لنا أن لا ننسى حضور مريم إلى جانبه: فإنه سيكون من ألخطأ عدم التكلم، ولو للحظة، عن فترة تلك السنوات الطويلة من ألحياة العائلية، والعلامات ألمشتركة بين مريم وألابن، بحجة أن هناك نقصٌ من جانب روايات ألانجيل بهذا ألخصوص.

ولكن، وعلى خلاف ألجميع، فإن مريم كانت تعلم بكل ذلك. إذ كانت ترى يسوع وهو طفل مع سائر أطفال القرية، ورأته صبياً يلعب بحيوية مع رفاقه، ومن ثم رأته شاباً يمزح ويستمتع بالحياة مع سائر الشباب في زمانه، من دون ان يُفشي السر الإلهي المحبوس في داخله.

ومريم كانت تعرف بأنه قد بُشّر بِه من قبل الملاك. وسيتحتم عليه أن يصبح ألمسيح ألملك (ولكنها لا تعرف

كيف)، وبأن فيه كان "إبن الله" نفسه حاضراً. فهي لوحدها كانت تعرف ذلك، فمريم هي رمزٌ حيٌ، شديدةُ الايمانِ، فريدة ووحيدة: ترى وتعرف، في حين أن الاخرين جميعاً يجهلون ذلك.

++++++++++

15- وأما يوسف وأمه "فلم يفهما" كلمات يسوع (لوقا 2: 5)

إن كتابات لوقا هي الوحيدة في العهد الجديد التي تعكس الضوء، ولو بإختصار، على الظل الغامض ألذي يكتنف فترة سنوات يسوع وهو في ألناصرة مع أمه مريم.

إن قصة يسوع لغريبة فعلاً. طفل ذو الإثني عشر عاماً، يجدونه في قاعات التدريس والمناظرات التي في الهيكل بعد بحثٍ قَلِقْ. ويبقى صعباً عليهم فهم وإدراك: الإعلان المبكر عن إنفصال يسوع عن العائلة الارضية في سبيل رسالته القادمة المستقبلية.

كما إن القصة هذهِ تقول الكثير عن مريم وعن حزنها الامومي (يا بني، لماذا فعلت هذا؟)، بحيث إن وجعها المؤثر، وتواضعها الرقيق، يجعلانها تضع نفسها في المرتبة الثانية بعد خطيبها الصامت ("ها إن والدك وأنا قلقانِ عليك"). الا أن قوة القصة بالكامل تكمن في جواب يسوع ("ينبغي علي أن أكون في بيت أبي")، قد يُفهم من هذهِ الجملة همساً: (بأن يسوع لا يريد العودة الى بيت الناصرة؟). ولكن سرعان ما يتضح ذلك من الانجيل: بأن على يسوع أن يهتم بـ"بيت الآب" وبرسالته.

في هذا الوقت، حتى مريم لا تفهم عمق معنى كلمات يسوع هذهِ، ولهذا السبب يكتب لوقا "وكانت تحفظ كل هذه الكلمات في قلبها". إن كلمات يسوع الاولى هي موّجهة الى مريم، الأم الحازمة واللطيفة معاً، إذ تصبح التلميذة الاولى التي تتلمذ على عقيدة الإبن السرية. ولاجل أن تفهمها، فعليها هي ايضا أن تتمم وتحقق مسيرة الإيمان البطيئة واللذيذة، قابلةً -إضافة الى التعمق بالسر- بأن تكون مقادة بتعاليم الابن.

إن القديس لوقا يخصص لمريم الصفحات الاكثر جمالية في إنجيله، وهو لا يقدمها على أنها شخصية متبحرة، أو بأنها تعرف كل شيء منذ ألبداية بخصوص سر الإبن. بل بالعكس، فحتى في بشارة الملاك لها، يقدمها على أنها لم تفهم، وظلت مضطربة، قلقة، ولكنها سرعان ما قبلت، واثقة بكلمة الله. وبالنسبة للانجيلي لوقا، فإنه مع مريم

يبدأ مشوار الكنيسة ألصعب، والكنيسة بدورها تؤمن بـ"سر الله"، وتُخلي ذاتها بين يديه طالبةً منه أن يرشدها ويضيء لها الدرب.

++++++++++

16- في قانا الجليل كانت أم يسوع هناك

(يوحنا 2: 1)

الميلاد والآلآم، التجسد والخلاص: لحظتان مهمتان لحضور مريم في الأنجيل الى جانب يسوع. حول هذين الحدثين كتبت الأناجيل ذكريات لا تُنسى. وفي فترة ما بين

هذين الحدثين، فإن جل إهتمام كُتّاب الأناجيل يتمركز حول نشاط يسوع التبشيري. وعلى الرغم من ذلك، فإن ذِكر مريم موجود وإن كان قليلا، إلا أنه يحمل معانٍ عميقة جداً.

هكذا فإن ألذِكر الأول الذي يشير إليه يوحنا في إنجيله حول حضور مريم يأتي في مناسبة عرس قانا ألجليل. إذ تقوم الأم بدور مهم بخصوص المعجزة التي ستحدث، ولأجل هذا الدور تحديداً يذكُرُها يوحنا. إنه لأمر مثير للإعجاب أن نجد حضور مريم في هذهِ البلدة الجليلية، غير البعيدة عن الناصرة، في مناسبة زمنية عابرة (اي حفلة زواج). إنه بمثابة تقرير مختصر حول "السيرة اليومية" لهذهِ الانسانة الإستثنائية العظيمة، وألتي تتعامل مع مختلف الأشياء الصغيرة اليومية.

فهل كانت مريم هناك ياترى بسبب أوآصر القربى مع تلك العائلة؟ أم أن الدعوة الموجهة إلى يسوع شمَلَتها هي أيضا؟ بكل تأكيد نجد أن هناك واجبات محددة لمسؤوليات حفل العرس، تقع على مريم، بحيث نجدها تقلق لما هو ضروري، وتتحرك وتتصرف بنوع من المسؤولية والسلطة عند مخاطبتها "للخدام". إن هذه القصة القصيرة، ليست خارقة الطبيعة، الا أنها فريدة من نوعها بخصوص قصص أخبار مريم، وتُقبل بكل ممنونية في الانجيل.

مريم، هذهِ الإنسانة الارضية، التي تعيش وسط أبسط الأشياء وأكثرها تواضعا في حياة كل إنسان، تقلق لكل ما يُقلق الإنسان ويجري له، كما إنها تحاول أن تمنع إحراجه، بحيث إنها تفكر حتى في الاشياء المادية الصرفة ("نفذت الخمر"). إن مريم على وجه التحديد هي تلك الإنسانة التي

أجيال لا تعد ولا تحصى من المسيحيين تحس بأنها قريبة منهم.

ومن الآن فصاعداً، وبحق، فإن إتّجاه الإنجيل يتحول صوب يسوع، إلى المعجزة الإلهية، وإلى الإيمان به، ومريم تستمر بالقيام بواجبها. إذ أن حضورها "البشري" هو موضوعٌ إنجيليٌ ثمين: إذ أنها تعيش وسط البشر حياةَ واختباراتَ كلّ إنسان.

++++++++++

17- فقالت له أمه : ليس لديهم خمرٌ (يوحنا 2: 3)

إن يوحنا يوجّه روايته مباشرة نحو القلب ونحو ألهدف: إعجوبة يسوع وإيمان الرسل. من جهة اخرى، فإن كلمات مريم بحد ذاتها، أقله على ما يبدو، ليست للمُطالبة بإجراء معجزة. فكلماتها تعكس بالدرجة الاولى شيئا من صفاتها: شعورها تجاه الحالات الصعبة التي يواجهها الاخرون، وإستعدادها للتدخل لصالح المحتاج، وتصميمها على جعل الإبن مشاركا في الحقيقة المحسوسة والواقعية للحياة الى حد التدخل في الإمور "المادية". مع هذهِ الصفات يتعامل يوحنا الإنجيلي بنوع كبير من الإهتمام والحساسية، وليس في حسبانه أن يضيف قصة أخرى الى "سيرة" مريم الذاتية. وعلى الرغم من درجة روحانيته العالية، فإن الأنجيل الرابع هو إنجيل التجسد: إذ أن كلمة الله "صار جسدا"

(يوحنا 1: 14) بمعنى إنه "صار بشراً" وبصورة أكثر محسوسة ومتواضعة وواقعية.

إنه لمن الخطر بالنسبة للإنجيلي أن يقوم بروحنة التجسد (أي محاولة إلغاء البعد المادي فيه) ومن أجل هذا السبب، نراه لا يفوّت الفرصة لكي يشير الى الحضور الانساني الأصيل والحقيقي لذلك الذي "جاء ليسكن بيننا". وهذهِ الحقيقة المهمة يذكرها يوحنا وحده عن يسوع! متعباً وعطشاناً، مكتئباً وباكياً، منزعجاً من جرّاء خيانةِ الصديقِ.

إن حضور مريم والدته إلى جانبه وخاصة منذ بداية تبشيره، هذا الخبر لا يذكره سائر الانجيليين، هو ذِكرٌ يحمل معنىً كاملاً بخصوص إنسانية يسوع التامة والكاملة. هكذا فإن مبادرة مريم، التي لا تترد في أن تضع يسوع أمام حادثة متواضعة، ومحرجة، تدخل ضمن نفس المنطق والسياق.

بالتأكيد إن هذا كله سيُحل وبصورة عجائبية، على المستوى الإلهي، ومع ذلك، وبواسطة تدخل مريم، يدخل يسوع في تماس مباشر مع أحداث حياة الانسان اليومية البسيطة، الفقيرة، وحتى الصغيرة منها. فيسوع "مدعوٌ" لمقاسمة الحياة اليومية مع الجميع، والتي غالبا ما ستصلبه وتدينه حتى في نشاطاته الأكثر تواضعاً.

++++++++++

18- فقالت أمه للخدم: مهما قال لكم فإفعلوه

(يوحنا 2: 5)

إن الإعجوبة تتحقق، إلا أن هناك شيء غريب بخصوص التحضيرات التي تسبق المعجزة. فللوهلة الاولى، يبدوا رد فعل يسوع سلبياً: "ما لي ولك يا إمرأة؟"، على الرغم من أنه يخاطب والدته بإحترام كبير "يا سيدة".

فهل تفرض مريم نفسها وتنجح من خلال سلطة الأمومة على تردد الإبن؟ أم بالأحرى، لو نظرنا بعيون الإيمان الى يسوع ذاته، فإنه يأخذ المبادرة بالحسبان، على الرغم من الكلمات (التي قالها) فإنه في قرارة نفسه، مستعد أن يتمم ويجترح "العلامة" التي ستساعد تلاميذه أن يؤمنوا به! مهما كان من أمر فإن مريم تقوم بالمبادرة وتذهب الى الخدام مخاطبة إياهم بسلطة "إصنعوا ما يقوله لكم"، وهنا لا يبقى أمام يسوع سوى أن يتمم ألإعجوبة.

إعجوبة يسوع الاولى، هي بالحقيقة إعجوبة مريم، لأنها هي التي طلبتها، حضّرت لها، وأرادتها. إن لهذهِ الإعجوبة معنىً

إنجيليا عميقا، فإن "الخمرة الطيبة" ليسوع تحل محل "ماء" الطقوس اليهودية، كما إن هذهِ الإعجوبة هي مهمة وبنفس الدرجة على مستوى الأشياء البشرية البسيطة. والشيء الأكثر أهمية في هذهِ الإعجوبة هو مجد يسوع الذي يبدأ بالبزوغ والظهور "فآمن به تلاميذه". وهنا يُشعر بوجود علامة ما بين إيمان مريم التي تتقن النظر إلى قلب الإبن وتعرف كيف تُخرج منه الإعجوبة، وبين إيمان التلاميذ المُحَفَزْ الذي ينشَط ثانية بسبب المعجزة التي تسببت مريم في تحقيقها.

إن يوحنا لن يعود ثانية ليتكلم عن إمومة مريم تجاه التلاميذ إلى حين مشهد الصليب، لانه يقدم ويمهد لذلك مسبقا إذ أن هناك وريداً حيوياً يربط مريم بالتلاميذ، بحيث إنه من خلال علاقتهم البنوية معها ينضجون أكثر كتلاميذ. وربما من أجل هذا السبب نجد أن يوحنا لا يدعو

مريم بإسمها قط في إنجيله، فبالنسبة له هي دائما "أم يسوع". في هذا اللقاء مع "أم يسوع"، يجد الرسل أنفسهم مرتبطين من دون شك بإيمانهم النهائي بيسوع.

++++++++++

19- ونزل الى كفرناحوم مع أمهِ (يوحنا 2: 12)

هنا لدينا إشارة أخرى، سريعة وقصيرة ولكنها ثمينة، إذ تُغني معرفتنا حول حياة مريم وعلاقتها بإبنها. بحيث إننا لا نجد شيئا مماثلا من هذه الناحية لدى أي من الأناجيل

الاخرى (فمريم عندهم تبدو وكأنها تعيش في عزلةٍ كبيرةٍ، تحدّها حدود قرية الناصرة. لربما يزورها إبنها او تزوره هي، بين الحين والآخر، لكنها مُستثناة من حياته العلنية، فهي إذن غريبة عن تعليمه وعن معجزاته). إلا أن يوحنا، على العكس من ذلك، يخبرنا بخصوص كل ما نجهله عنها. إننا لا نجد مريم حاضرةً فقط على غرار إعجوبة يسوع الاولى، بل وعندما "ينزل" المعلم مع التلاميذ من الجبل إلى كفرناحوم، على شاطيء البحيرة، اي بعيداً جداً عن الناصرة، فإنه يأخذ معه أمه. هذهِ الاقامة الاولى في المدينة ستصبح فيما بعد مركزاً لجميع تنقلات يسوع في الجليل، تدوم هذهِ الفترة "بضعة أيام فقط"، ولكننا نجده محاطاً بالتلاميذ، ومع بداية رسالته نجد هناك مريم أمه أيضا.

نجد برفقة يسوع أقرباءه الآخرين، والذين تسميهم الأناجيل بتعبيرها الشرقي الطبيعي: "إخوته". ولكن سرعان

ما نجد مشكلة مع أقرباء يسوع، وأحيانا عداوة، فهم بالتأكيد لا يؤمنون به (يوحنا 7: 2-5). أما مريم، رغم أنها تبقى في الظل، فإنها تبقى أمينة حتى النهاية، تبقى دائماً وبصورة مثالية، بقرب الإبن، لا بل تحضر فعليا في أللحظة الأليمة وقت الآلآم والصليب.

إن أمانة مريم لم تسلك بكل تأكيد في طريق سهل، كما إن الانشقاق الحاصل مع أقربائهم لم يقلل بالفعل من التسبب بردود فعل مريرة حتى معها. إلا أنها تبقى رغم ذلك نشطة ولا يتجرأ أحد أن يقول شيئاً بشأنِها إلى النهاية. لكنه يبدو أكيداً من أن يوحنا يُنهي قصته حول حياة يسوع بذِكر مشهدين فقط تَظهر فيهما مريم في انجيله: في عرس قانا، وأخيرا عند الصليب.

فبالنسبة ليوحنا، مريم هي دائماً موجودة الى جانب يسوع، وهي رمزٌ للأمانةِ التي تتغلب على أي محنة او تجربة.

++++++++++

20- أمك وإخوتَك يطلبونك (مرقس 3: 32)

إنه لمقطع مُر، ويُذكر ليس عند مرقس وحده بل ولدى متى أيضا (12: 47-50) ولدى لوقا (8: 19-21). إنه يوّثق وبصورة مأساوية ذلك الذي دعانا يوحنا الانجيلي للتفكير فيه: أي الإنقسامات بين أقرباء يسوع، وهذا يجلب، أقله داخليا، ألماً للأم. إلا أن مرقس هو الأكثر وضوحا بهذا الشأن.

كان أقرباء يسوع قلقين مما يسمعونه يقال حول أعاجيبه وعن تحركات الجماهير. "وبلغ الخبر ذويه فخرجوا

ليمسكوه، لأنهم كانوا يقولون أنه ضائع الرشد" (مرقس 3: 21). إن هذا المشهد هو عنيف، فهذه ليست بزيارة وديّة، بل هم ذاهبون بنية إيقاف التحركات العلنية وغير المُريحة التي يقوم بها نسيبهم. ومن هنا نفهم ردّة فعل يسوع المباشرة بشأنهم.

فماذا تفعل مريم ياترى مع هؤلاء الأقرباء الغاضبين والعدائيين؟ بالتأكيد، عندما نتكلم عنها، علينا أن نتذكر، إنه حتى هذهِ اللحظة المُرّة التي تمر بها الآن الأم الحزينة، فهي تقف ما بين إبنها الحبيب وبين الاشخاص الذين تربطها بهم صلة القربى.

وبالتأكيد لا ينبغي أن نفكر ولو للحظة بأن مريم إشتركت بهذهِ المناهضة مع الآخرين. لأن كل ما يخبرنا به العهد الجديد بخصوصها، يجبرنا أن ندفع بعيداً هذهِ الفكرة عنّا. لربما أرادت، كما تفعل كل الأمهات عادة، التوسط ما بين

الأقارب المنزعجين وبين الإبن المتأكد من نفسه والمقتنع جداً بالنهج الذي إختاره؟ أم ربما ذهبَت معهم لدى سماعها كل تلك الأقاويل عنه والتي كانت تدور في محيط الناصرة الريفي الضّيق، مع بعض نقاط شك؟ أم أقله بسبب الخوف الذي تملكّها وعّكر صفاء قلبها الرقيق؟ أم أنها خافت من كل ذلك النشاط، ومن تحركات الجماهير القادمة من مختلف المدن، فلا تعرف الى أين ستوّصل إبنها يسوع يا ترى!

إن الأمهات ومن دون شك يعرفن كيفية النظر إلى البعيد، فليس هذا بشيء غريب، ولربما إن قلب مريم كان قد أخذه الفزع، ولو للحظة واحدة، وهي تفكر بمستقبل يسوع. إن كُتّاب الاناجيل لا يشرحون ذلك، وهكذا يبقى الخبر الحزين عن تلك اللحظة غير الجميلة والمُقلقة يعصف

بمريم. هكذا نفهم، بإنه لم يكن سهلاً عليها أبداً أن تصبح أماً للمسيح!

++++++++++

21- مَن هي أمي؟ (مرقس 3: 33)

ما من شك بأن كلمات يسوع هذهِ هي قاسية. إذ تبدو وكأنها موجهة وبشكل خاص الى مريم. وبالفعل فإن مصطلح "الأم" يفتتح ويختتم جواب يسوع. وكما يحدث غالباً في مختلف مقاطع الإنجيل، هنا أيضاً، نرى إن الرواية تتحرك

بمستويين إثنين. الاول "تاريخي" (الحدث ذاته) بشكل خاص. إذ يجاوب يسوع بإنفعال وحدّة تجاه تدخل الأقرباء. دون أن يفرّق بينهم ("من هي أمي ومن هم إخوتي؟")، راداً عليهم بالمثل، بقوة، ومن دون تردد. ولكن هنا يتغلب البعد الثاني، اللاهوتي والروحي (المعنى العميق للحدث): فيسوع المدفوع من قبل رسالته، ينفصل عن عائلته، ليشكل عائلة أخرى جديدة، متحدة لا بروابط الدم بل بكلمة الانجيل والإستعداد لتكريس الذات لملكوت الله. فمن الآن فصاعداً سيصبح تلاميذه بالنسبة له هم "الأخ والأخت والأم".

إنها لكلمات قوية وجميلة جداً، وإنه لصحيح بأن المدعو من ألله يتمم مهمة خلاص العالم ويكون مستعداً لان يترك "بيتاً، إخوةً، أخواتً، أماً، أبا، وأولاداً..." وبالفعل فإن هذا هو ما يطلبه يسوع من تلاميذه (مرقس10: 29). هكذا،

فبالإضافة الى الأقرباء الذين لا يظهرون إستعداداً جيداً تجاه يسوع، توضع مريم على جنب هي الأخرى، وتبقى وحيدة، يغمرها صمت الناصرة، من دون أن تقوم بشرح الأمر، فتقبل من دون إظهار أي ردة فعل، بقرار الإبن العادل والقاسي بنفس الوقت.

أناس آخرون يختارون تباعته، من بينهم نجد حتى فريقا من ألنساء، وكثيرون يستمعون إلى خطبه، ويبتهجون بأعماله. أما مريم فتبقى بعيدة. فبالنسبة لها يكفيها ألمكان الذي سيبقى قريبا من يسوع عند الصليب عندما يغيب ألآخرون جميعا. هذا الإختفاء الصامت لمريم، وإختيارها أن تبقى في الظل، كي يبقى الإبن وحده في دائرة الضوء، هو أغلى وأعذب مرحلة في حياة مريم، لأنها تعطي شهادة عظيمة وحقيقية بحسب الأنجيل.

++++++++++

22- أليس هذا هو ألنجار إبن مريم؟ (مرقس 6: 3)

هذه هي المرّة الوحيدة في كل العهد الجديد، التي نجد فيها هذا اللقب المسيحاني الجميل. فيسوع يُدعى: "إبن ألله"، و"إبن الإنسان"، و"إبن داؤد"، ولكنه يسمى هنا أيضا "إبن مريم". إن مرقس وحده ينفرد بالإشارة الى يسوع بالرجوع الى الأم وليس بالإشارة الى الأب، كما كان الحال عليه -ولا يزال- في حضارة وثقافة ألشرق. وبالواقع إن كُتّاب الإنجيل الآخرين يفضّلون التعبير عن ذلك بطريقة مغايرة: "أليس

هذا إبن يوسف؟" (لوقا 4: 22) "او إبن النجار؟" (متى 13: 55).

ليس بعيداً أيضا أن يكون القديس مرقس قد قام بإعادة صياغة تعبير أهل الناصرة المُهين بحسب ما إرتآه هو مدفوعا بدوافعه الايمانية: إذ ليس ليسوع أب أرضي، ولكن له أمٌ! على أي حال، إنه من المؤكد بأن الانجيلي مرقس، وبسبب زيارة يسوع للناصرة، يهرع ليضع في المقدمة صورة مريم، خاصة لاننا نادراً ما نرى في الانجيل ذكر أم يسوع. فلمرقس إذن ينبغي أن نكون شاكرين لأنه صاغ او أقله أعطانا، هذا اللقب المسيحاني الرقيق: "إبن مريم".

يمكننا أن نعتبر هذهِ المحاولة، في الوقت الذي لم يكن هناك بعدُ ما يعرف اليوم بـ"لاهوت مريمي" نوع من الإشارة للإنتباه الى أم يسوع. فمن الآن وصاعداً، سيتذكر

المسيحيون وبصورة عفوية ومثالية أن يضعوا صورة مريم ويذكرها دائما الى جانب إبنها يسوع. وسنجد أيضا إشارات أخرى في الانجيل تُشبهها، وفي القرن الثاني للمسيحية فسنجد أن الاهتمام بهذا ألموضع يتوسع، وسيصبح لاحقا حاجة لا يمكن إحتواءها بعد عند المؤمنين بيسوع. ومن جهة ثانية فإن الكتابات النبوية كانت قد مهدّت لهذا النوع من الإهتمام تجاه "أم مسيحانية" (أنظر أشعيا 7: 14، ميخا 5: 2). وهكذا فإنه حتى الإيمان يزداد غنى بواسطة هذا الشعور الغريزي والإنساني.

هكذا وبكل تأكيد إستطاعت الأجيال المسيحية وبحق من خلال حضور مريم المحب والامين الى جانب إبنها، أن ترى فيها رمزاً للبشرية التي تبحث عن يسوع بثقة.

++++++++++

23- طوبى للبطن ألذي حمَلَك وألثديين أللذَّين رضِعتَ (لوقا 11: 27)

إن القديس لوقا أيضا، على غرار الإنجيليين الآخرين، يُظهر وبصورة جيدة إهتماما كبيراً بشخصية مريم في الإنجيل، فهو يسرد كذلك مختلف القصص حول يسوع، ليس لشيء أو لغاية خاصة، بل لأنه يريد على الدوام الإعلاء من شأن رسالة يسوع التبشيرية. هكذا حتى في هذه القصة الفريدة، لإمرأة غير معروفة، والتي تقطع خطبة يسوع تقريبا بالمنتصف، بإعلاء صوتها المؤثر. يالها من حادثة تثير الإهتمام، إذ ليس لها ما يوازيها في التقليد

الإنجيلي، ومع ذلك، فإنه من الطبيعي جداً أن تنادي إمراة وتقول: "طوبى لأم هذا الرجل!".

بالنسبة للوقا، فهو يشير أيضا في الآية اللاحقة الى تعليم يسوع، دلالة على إنه يشعر بهذا المقطع بوجه خاص: كما وكأنه يقارنه مع نبوءة ما! وفي نشيد "تعظم نفسي الرب" كانت مريم قد أعلنت وبكل هدوء: "فمن الآن وصاعداً ستعطيني الطوبى جميع الأجيال" (لوقا 1: 48). يالها من نبوءة واضحة، أعلنتها من دون تفاخر، فهذهِ الطوبى لن تكون ثمرة إستحقاقها الشخصي، بل هي نتيجة عطايا الله لها: من نظرة "الضابط الكل" الى تواضعها، وهكذا سيصنع بها الله "أشياء عظيمة" من خلال تواضعها ورقّتها.

فهِمت مريم هذا من كلمات اليصابات: "طوبى للتي آمنت!" (لوقا 1: 45). هكذا فإن نبوءتها ستحقق عبر الأجيال، لا

بل إنها إبتدأت تتحقق في زمن بشارة يسوع، مع صرخة هذهِ المرأة القائلة: "طوبى لها".

ان لكلمة "طوبى" في الأنجيل معنىً خاص، حيث إنها تعبّر عن فرحة الخليقة الفقيرة والمتوجعة، والتي تلتف حولها محبة الله بما فيها من مواهب خلاصية: "طوبى لكم أيها الفقراء... طوبى لكم أيها الباكون الآن" (لوقا 6: 20-21). إن هذهِ "الطوبى" تشمل كل تلميذٍ يتبع يسوع. من أجل ذلك نجد مريم في تاريخ المسيحية، كعلامة بهيجة مفرحة لمحبة الله التي تُبهج حياة المتواضعين وتملأوها رجاءً، وهكذا تستمر بإعلان الطوبى لأم يسوع على الدوام.

++++++++++

24- طوبى لمَن يسمع كلمة الله ويحفظها

(لوقا 11: 28)

إن إجابة يسوع النارية، تبدو متعارضة مع كلمات تلك المرأة، كما لو إنه يريد القول "لا، الطوبى ليست لأمي، بل لأتباعي..." ولكن قراءة كلمات يسوع على هذا النحو تبدو تضخيماً لا داعٍ له.

إن لوقا هو كاتب كثير الإنتباه، وحريص جداً على المحافظة على نفس إسلوبه في الإنجيل مثلما بدأه: فمنذ بداية إنجيله نجد بأن مريم تُعلَن "طوباوية"، كما إن النبوءة اللتيرجية-الطقسية، والمرتَّلة من قِبَلِها لا زالت تواصل عبر الاجيال هذا "التطويب". أما بخصوص "سماع" و"حفظ" كلمة الله في الإنجيل، فإننا نجد مريم هي الأولى التي تستمع بإيمان الى رسالة الله (بشارة الملاك) والى كلمة يسوع (لوقا 2: 49-50).

إننا نعلم مسبقاً لماذا يصّر الإنجيلي لوقا على هذا الموضوع. ذلك لأن لاهوته الكنسي هو بالأساس لاهوت إرسالي (يظهر هذا من كتابه الثاني: سفر أعمال الرسل). فبالنسبة له، يستحيل الإعلان عن كلمة الله ما لم يُحضَّر وقبل كل شيء "الإصغاء" بكل صبر، وإنتباه، وهدوء. فعند لوقا ليس الإصغاء وحده كافٍ، بل ينبغي أن "تُحرَس" الكلمة ويحافظ عليها داخل القلب، لتبقى تَرِنُّ، جاعلةً كيان المسيحي كلّه يحمل ألشهادة ليسوع، وتبقى الكلمة تُغني وتغذّي حياته كلّها.

إن لوقا لا يفرح بـ"سماع" عاجل أو سطحي للكلمة. ولأجل ذلك يكتب: "اولئك الذين يسمعون ويحفظون". لقد قالها يسوع مسبقا أيضا عند تفسيره لمثل الزارع: "الذين يسمعون الكلمة بقلبٍ طيب كريم ويحفظونها" (لوقا 8: 15).

هكذا تصبح مريم، من خلال صمتها السري، رمزاً لهذا الحفظ الغيور للكلمة. وقد قال لوقا ذلك أيضا منذ البدايات: "وكانت مريم تحفظ كل هذهِ الكلمات وتتأمل بها في قلبها" (لوقا 2: 19،51). ألا ترى أن لوقا يقدم مثالا حياً لكنيسته -من خلال مريم- لكي تكون كنيسةً شاهِدةً ورسولةً؟

++++++++++

25- وكانت و قفة عند صليب يسوع، أمه

(يوحنا 19: 25)

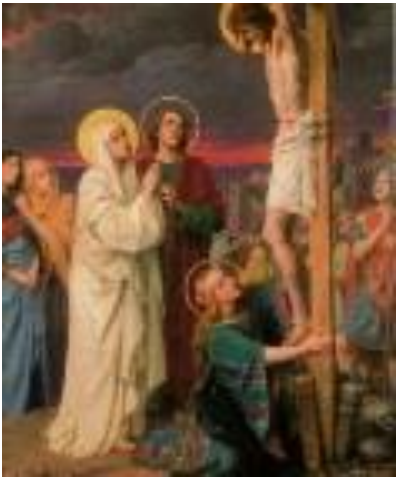

كلمات بسيطة جداً ومختصرة، إلا أنها مطبوعة وبقوة في نفس كلِ مسيحيٍ مؤمنٍ. بحيث إنه مذ أعطانا يوحنا وحده هذا البلاغ، من دون سائر الإنجيليين، أصبح من المستحيل وصف أو تخيّل المصلوب من دون رؤية "الأم" بالقرب منه. إن حضور مريم بجانب الصليب يحقق، رمزيا وفعليا، ألنهاية التي لا يمكن نكرها أو الإنسحاب منها لكل مؤمن،

بأن يبقى قرب يسوع، الذي يصبح شهيداً بسبب حبّه للبشر.

إن صورة "الام الحزينة" هي بدورها قطعة ثمينة ومُلزمة في إنجيل الخلاص. ومن ألمفيد أن نذكر بأن القديس يوحنا هو الوحيد الذي يتكلم عنها، إن موت يسوع على الصليب في إنجيل يوحنا ليس فيه أي شيء من الألم او الإهانة أو الضعف، بل على العكس من ذلك، فالصليب هو الإنتصار المسيحاني، إنه "قيام" إبن الله وعودته الى الآب، إنه إظهار قدرته بحيث إنه "يجذب اليه الناس أجمعين" (يوحنا 12: 32).

إن مريم تشارك بإستشهاد الإبن، ولهذا فهي أيضا قد توشحّت بـ"مجد" المخلّص، وقد غُمِرَت بذلك "الحب العظيم الذي يعطي الحياة" (يوحنا 15: 13). إن مجد مريم البهي، ونصرها المنقطع النظير، نصر الإنسانة المتواضعة

المختارة من قبل الله، أتى من جراء وقوفها عند الصليب، وهي شاخصةٌ نظرها بثبات نحو إبنها الذي يموت من أجل حياة العالم.

حسب الأنجيلي يوحنا، فإن مريم تقف بجانب الصليب، وهي تنظر الى ذلك الموت الرهيب، التالف للحياة، محاولة أن تتقبل في عمق أعماقها "أفكار الله" الباحثة عن خلاص الإنسان. وهنا نتذكر آية اخرى من الكتاب المقدس تقول: "وينظرون الى الذي طَعَنوا" (زكريا 12: 10).

من خلال الإستشهاد بهذا المقطع النبوي المليء من الحزن والنعمة والرجاء، يبدو إن يوحنا يريد أن يعطي وصفاً لوجه مريم الناظر الى وجه الإبن المذبوح. وهذهِ دعوة لقّراءِ الانجيلِ للوقوفِ الى جانبِ مريم "عند الصليب".

++++++++++

26- فرأى يسوع أمه (يوحنا 19: 26)

بموجب عادته، فإن القديس يوحنا يكتب في بُعدين: الاول "تاريخي" (الحدث ذاته) والثاني "لاهوتي-روحي" (المعنى العميق للحدث). في هذا المشهد كلّه، الذي يتوسط قصة صلب يسوع وموته، يتجلّى الجانب "اللاهوتي-الروحي" بكل وضوح، الى حد أنه يبرز وكأنه الجانب الوحيد، ولكن البعد "التاريخي" حاضرٌ أيضاً، وإن كان دوره ثانوياً، لانه بُعدٌ

حقيقي وسيكون من الخطأ التقليل من شأنه او إهمال أهميته.

يسوع "يرى أمه" من الصليب. إن مجرد تبادل النظرات بينهما في هذهِ اللحظة هو مؤثر للغاية. فيسوع "يرى" أمه، في لحظة القمّة، وهو يفكّر فيها، في وحدتها، في هَجرِها المحّتم من بعد موته. وهنا يَعهِد بها الى شخصٍ صدْيقٍ، الى "التلميذ الذي كان هو يحبه"، والذي كان حاضراً هو أيضا على الجلجلة.

بالنسبة للأم، فإن هذا هو تفكير يسوع الأخير نحوها! فماذا كان معنى وبُعدْ هذا التفكير أثناء حياته الأرضية يا ترى عندما نراه الآن قلقاً بشأنها في هذهِ اللحظة المؤلمة والمحزنة جداً؟ إنه يسلّمها الى عهدةِ "التلميذ" الأكثر معّزة لديه، لأنه عالم بأنه من هذهِ اللحظة وبعدها سيأخذ

مكانه "كإبن" الى جانبها. وهنا يأتي السؤال: من كان يفكر بها إذاً ويحافظ عليها الى حد هذهِ اللحظة سواه هو: الابن؟

إن هذا المشهد المختصر يكشف الستار حقيقةً وبشكلٍ مفاجيء عن حياة مريم وعلاقتها بالإبن. فمع علمنا بإنه ليس لدينا الكثير من المعلومات بهذا الخصوص، الا أنه يجب أن نعرف رغم ذلك بأن علاقتهما هذهِ كانت ولابد قوّية وفعالة.

من جهة أخرى، فان لدى الانجيلي يوحنا قضية صميمية يريد التركيز عليها، ألا وهي: الجانب البشري لسرّ يسوع. فالتجسد هو حقيقة أصيلة، تضع يسوع، مثل كل إنسان، أمام الحقائق البشرية، وأمام العلاقات الإنسانية. إن إشارة الأنجيل الرابع هذه، هي في درجة سامية من "الإنسانية" -بحيث يُخصِّص يسوع تفكيره الاخير لأمّه-

ويقدم أيضا شهادة جديدة وسامية عن حقيقة سر التجسد.

++++++++++

27- يا إمرأة هذا هو إبنك (يوحنا 19: 27)

إن كلمات يسوع التي تأتي بصورة رسمية كاملة، تؤكد على المنحى الروحي واللاهوتي: إذ أن مريم، يُعلنها في شهادته السامية هذهِ بأن تكون "أمّا" للتلميذ الحبيب، ومن خلاله تصبح مريم "أمّا" لجميع التلاميذ. هكذا فيسوع المائت لا

يلجأ أولاً الى "التلميذ" بل يتجه مباشرةً الى الأم، وبعد ذلك، وكنتيجة لما قاله يلتفت أيضا الى "التلميذ" الذي يُذكر فجأة هنا. وبالتالي نفهم بأن هذهِ الرسالة هي موجهة الى "الأم" بالدرجة الاولى.

الى جانب البعد التأريخي، فإنه حتى من الناحية اللاهوتية: فإن يسوع يعهد بالتلميذ الى الأم، وليس العكس. فواجبها ورسالتها هي "الأمومة". وهو واجب يتعلق بـ"المرأة" تجاه "التلميذ" الذي بدوره يمثل باقي التلاميذ.

فمنذ هذهِ اللحظة فإن "أم يسوع" تصبح "أمّا" بمعنى جديد. إذ نجد فيها وبكل شفافية رمزاً للكنيسة، وقد ولد هذا التفسير من الإشارة النبوية للكتاب المقدس عن صهيون (إشعيا 54 و 60) وهي موجودة أيضا في أماكن اخرى من العهد الجديد (رؤيا 12): فالكنيسة "أمٌ" تلدُ للايمان بيسوع اولاداً جديدين بإستمرار.

إن كل مؤمن داخل الكنيسة هو "أم يسوع" أيضا (انظر مرقس 3: 35). فإذا ما بلّغ المؤمن إيمان الكنيسة للاخرين، فإنه يشترك بأمومتها الخصبة. إلا أن مريم تبقى الرمز الأسمى على الدوام، لهذهِ الأمومة، إذ تشترك بإيمانها وبطريقة خاصة جداً، ليس لها مماثل. ذلك لأنها لم تصبح أما ليسوع لأنها ولدته بالجسد فقط، بل وأيضا بسبب إيمانها الفريد به.

وإذ نقرأ هذهِ السطور، علينا أن نتذكر قصة قانا الجليل. فمنذ ذلك الحين كان إيمان مريم شرارة سبّبت بإنبثاق إيمان الرسل بيسوع، وبكلمات أخرى، فإن مريم هي التي ولدتهم للإنجيل. الآن، ويسوع في ذروة تحقيق سّره، نراه ينطق بكلماته الأخيرة، ويعلن للأبد بأن مريم هي أم المؤمنين.

++++++++++

28- ومنذ تلك الساعة أخذها ذلك التلميذ إلى بيته

(يوحنا 19: 27)

إننا نجد صدى لبُعدي الإنجيل -التاريخي واللاهوتي- في بادرة "التلميذ"، إذ تجد مريم عنده بيتاً وملجأً، بينما يجد فيها التلميذ "أمّاً" له.

ليس مستبعدا القول بأن قصص الأنجيل التي تخص مريم هي إنعكاس لقصص تأريخية محدّدة حدثت في حياة الجماعات المسيحية الاولى، عندما عاشت مريم في وسطها لسنوات عديدة. قد تكون من دون شك ذكريات إستثنائية رغم بساطتها، تدور حول هذهِ الإنسانة التي إختبرت طيبة

أللـه، والإيمان به، وحضوره المشجّع في الأوقات العصيبة. وهذا يعني إن هذه الجماعات قد إختبرت "أمومة مريم" الروحية.

لا يوجد هنا ما يدعو للغرابة. غير إن بعض الجماعات، مثل جماعة-كنيسة لوقا وجماعة-كنيسة يوحنا، يُظهرون تجاه مريم مشاعر الأكرام والإعجاب و"البنوّة". هكذا نجد على وجه الخصوص جماعة يوحنا مثلاً، المدعوّة من خلال "شهادة" التلميذ الذي كان يسوع يحبّه (يوحنا 19: 21،35: 24) أي إنها مؤسسة على يده على الأغلب. فهذه الكنيسة، كما تظهر من الأنجيل الرابع، هي ذات صفات مميزة جداً: لأنها على معرفة بسر يسوع الإلهي، ولها عمق صميمي وروحي مع الرب القائم، ولا تزال تتهيأ "للحياة الأبدية".

هذا لا يعني أن –كنيسة يوحنا- كانت تدّعي السلطة على باقي الكنيسة، بل بالعكس، فإنها ما كانت تنقطع عن

الإعتراف بمكانة بطرس الرعوية والشمولية (يوحنا 21: 15-17). إلا أن هدفها كان الحفاظ أو عدم ألمساس بخاصيتّها الرؤيوية- النبوية في قلب الكنيسة الجامعة، والتي من خلالها ظنّت إنه بإمكانها أن تقوم بدور مهم في "إعطاء الشهادة" والروحانية. هذهِ الكنيسة-الجماعة الخاصة، لربما كانت أكثر من غيرها من الكنائس تستذكر "أمومة" مريم الروحية.

منذ ذلك الحين، إستمر هذا الواقع في تاريخ المسيحية: فليس هناك ما يدعو للإستغراب، فالى اليوم، لا تزال بعض الكنائس أكثر من غيرها حساسة ومشتاقة لتقديم الإكرام لهذهِ الأم التي أهداها لنا ربنا يسوع.

+++++++++

29- وكانوا مواظبين على الصلاة بقلبٍ واحدٍ، مع مريم أم يسوع (اعمال 1: 14)

على غرار القديس يوحنا، يقوم القديس لوقا أيضا بكتابة حياة يسوع ضمن إطار ذكريات مريمية، وبينما يقوم يوحنا بذكر مريم في ألنهاية، مشارِكةً في أحداث "الآلآم" الخلاصية للإبن، يختار لوقا أن يذكرها في أجواء "تمجيد" يسوع، وقت حلول الروح القدس يوم الفنطيقسطي- عيد العنصرة الذي هو تكليل للتمجيد الفصحي.

هكذا في حدث العنصرة وبإنتظار حلول الروح القدس، يذكر الإنجيلي لوقا حضور أشخاص آخرين بالإضافة الى مريم. فهناك: التلاميذ الأحد عشر، وبعض النسوة، وأقرباء

يسوع... إلا أنه يبدو واضحا أن حضور مريم بالنسبة للوقا له معنى خاص جداً: لأنه إستأنف كتابة "سيرة يسوع" (الانجيل) متحدثاً عن مريم، والآن يتكلم عنها مرة جديدة وهو يبدأ كتابة "سيرة الكنيسة" (أعمال الرسل).

هذا هو الذِكر الأخير عن مريم إذاً! إذ أنه ليس من قبيل الصدفة بأن لوقا إنجيلي الروح القدس والصلاة، يضع مريم وللمرة الاخيرة أيضا وهي "تصلي" في وسط الجماعة الأولى الصغيرة وهي بإنتظار الروح القدس. هكذا نبدأ نفكر طبيعياً، بحسب لوقا، بأنه: من الآن فصاعداً ينبغي ذِكر مريم كلما صلينا في قلبِ كنيسة يسوع.

إن لوقا هو الوحيد من بين سائر الإنجيليين الاربعة، الذي يقدّم يسوع غالباً وهو مغمور في الصلاة، ليعطي للكنيسة مثالاً في أهميتها الحاسمة: ففي الصلاة تُكمل الكنيسة قصة يسوع وتُبلّغها للآخرين عبر التاريخ، والصلاة تَمنح لنا

من الآب نعمة ألخلاص، وهي تسبق مجيء الملكوت، وبها نحصل على موهبة الروح (لوقا 11: 13).

مريم تصلي في وسط الكنيسة، هذا هو النموذج الحي لحقيقة الكنيسة، والحافز الفعال للبحث عن أسباب كتابة الإنجيل العميقة. إنه يعلّمنا الثقة بالشفاعة النقية لمريم "الممتلئة نعمة".

++++++++++

30- إمرأة تلبس الشمس (رؤيا 12:1)

إذا ما قرأنا فحوى هذهِ الرؤية المهيبة والملتهبة، لوجدنا بأن التقليد المسيحي، من خلال روحانيته، وصلاته، وفنّه، قد وجد فيها على الدوام إنعكاسا لصورة مريم، أم يسوع.

بالحقيقة فإن نص الرؤيا يتكلم بالأكثر عن الكنيسة- شعب أللـه، والتي منها إنبثق المسيح المُضطَهَد والممجد، والكنيسة بدورها هي مُضطهدة لكنها محمية وبطريقة عجائبية من قبل السماء. إلا أن جانب "الأمومة" لهذهِ الشخصية النسوية الممجدة والسماوية هو واقعي جداً. فإنه لمن المنطق التفكير بأن مؤلف سفر الرؤيا، وإذ يصف الكنيسة هكذا، قد وضع بالحقيقة مريم في الحسبان.

فأمومة مريم تصبح إذا رمزاً ومثالاً، عليها يُبنى الحديث عن الكنيسة "الام". هكذا بالحقيقة، حتى وإن كانت المعضلة محلولة من جهة التفسير الكتابي، إلا أن قراءة هذا النص

تأخذنا للتفكير بمريم، الإنسانة السماوية، المتشعة بنور الله، وهي أيضا حاضرة في الأرض الى جانب الكنيسة المضطربة.

منذ البداية، كان المسيحيون يرفعون تفكيرهم الى الشهداء والقديسين، الممجدين في ملكوت الله. وهكذا أصبح ذكرهم مصدر معونةٍ لهم وسط مسيرة الإيمان الأرضية المتعبة.

لقد بحثت التقوى المسيحية عن مريم أيضا، بمكانتها الممجدة والسماوية وشفاعتها، وإذ لا زلنا نتكلم في القرون المسيحية الأولى، فإننا سنجد عقائد مريمية مثل صعودها الى السماء، وتمجيدها في السماء... فهذهِ الإنسانة المتواضعة قد ساهمت في المحافظة الحيوية على رجاء المؤمنين وسط تجارب العالم، فبشفاعتها أمام الله إستطاعت أن تحافظ على إيمان وثبات الكثيرين.

إن هذهِ الرؤية الكتابية، على الرغم من خصوصيتها، تحثنا على التفكير بمريم: أم يسوع الممجدة في السماء، لأنها هي الأكثر إهتماما وعناية بالمسيرة الأرضية والشاقة لأبنائها.

الـفـهـرس

* تقديم ٣

1- وإسم العذراء مريم ... ٤

2- السلام عليك يا ممتلئة نعمة ... ٧

3- كيف يكون هذا فأنا لا أعرف رجلا ... ١٠

4- الروح القدس يحل عليك ... ١٣

5- ها أنذا أمة الرب ... ١٦

6- وشدّت مريم رحالها نحو الجبال ... ١٩

7- طوبى للتي آمنت ... ٢٢

8- قالت مريم تعظم نفسي الرب ... ٢٥

9- تبتهج روحي بالله ... ٢٧

10- وكانت مريم تحفظ كل هذه الكلمات في قلبها ... ٣٠

11- وأنت سينفذ سيف في نفسك ... ٣٣

12- فرأوا الطفل مع أمه ... ٣٦

13- قم خذ الطفل وأمه واهرب ... ٣٩

14- فأخذ الطفل وأمه ورجع ارض اسرائيل... ٤٢

15- وأما يوسف وأمه فلم يفهما كلمات يسوع ... ٤٥

16- في قانا الجليل كانت أم يسوع موجودة ... ٤٨

17- فقالت له أمه: ليس لديهم خمر ... ٥٢

18- فقالت أمه للخدم: مهما قال لكم فافعلوه ... ٥٤
19- ونزل الى كفرناحوم مع أمه ... ٥٧
20- أمك واخوتك يطلبونك ... ٦٠
21- من هي أمي؟ ... ٦٣
22- أليس هذا هو النجار ابن مريم؟ ... ٦٦
23- طوبى للبطن الذي حملك والثديين الذين رضعت ... ٦٩
24- طوبى لمن يسمع كلمة الله ويحفظها ... ٧٢
25- وكانت واقفة عند صليب يسوع، أمه ... ٧٥
26- فرأى يسوع أمه ... ٧٨
27- يا إمرأة هذا هو إبنك ... ٨١
28- ومنذ تلك الساعة أخذها ذلك التلميذ الى بيته ... ٨٤
29- وكانوا مواظبين على الصلاة ...مع مريم أم يسوع ... ٨٧
30- إمراة تلبس الشمس ... ٩٠
* ألفهرس ٩٣